

تفسير ابن كثير

لما ذكر تعالى القرآن وفصاحته وبلاغته وإحكامه في لفظه ومعناه ومع هذا لم يؤمن به المشركون نبه على أن كفرهم به كفر عناد وتعنت كما قال د : { ولو نزلناه على بعض الأعجمين * فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين } وكذلك لو أنزل القرآن كلها بلغة العجم قالوا على وجه التعنت والعناد { لولا فصلت آياته أَعجمي وعَرَبِي } أي لقالوا هلا أنزل مفصلا بلغة العرب ولأنكروا ذلك فقالوا أَعجمي وعَرَبِي أي كيف ينزل كلام أَعجمي على مخاطب عربي لا يفهمه ؟ هكذا روي هذا المعنى عن ابن عباس ومجاحد وعكرمة وسعيد بن جبير والسدي وغيرهم ؟ وقيل المراد بقولهم لولا فصلت آياته أَعجمي وعَرَبِي أي هل أنزل بعضها بالأَعجمي وبعضها بالعربي ؟ هذا قول الحسن البصري وكان يقرؤها كذلك بلا استفهام في قوله أَعجمي وهو رواية عن سعيد بن جبير وهو في التعنت والعناد أبلغ ثم قال د : { قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء } أي قل يا محمد هذا القرآن لمن آمن به هدى لقلبه وشفاء لما في الصدور من الشكوك والريب { والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر } أي لا يفهمون ما فيه { وهو عليهم عمي } أي لا يهتدون إلى ما فيه من البيان كما قال سبحانه وتعالى : { وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الطالمين إلا خسارا } { أولئك ينادون من مكان بعيد } قال مجاهد يعني بعيد من قلوبهم قال ابن جرير معناه كأن من يخاطبهم يناديهم من مكان بعيد لا يفهمون ما يقول وقلت وهذا كقوله تعالى : { ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينزع بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم فهم لا يعقلون } وقال الصحاح ينادون يوم القيمة بأشنع أسمائهم وقال السدي كان عمر بن الخطاب هـ : جالسا عند رجل من المسلمين يقضى إذ قال : يا لبيakah فقال له عمر هـ لم تلبي هل رأيت أحدا أو دعاك أحد ؟ فقال دعاني داع من وراء البحر فقال عمر هـ أولئك ينادون من مكان بعيد رواه ابن أبي حاتم وقوله تبارك وتعالى : { ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلط فيه } أي كذب وأودي { فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل } { ولو لا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى } بتأخير الحساب إلى يوم المعاد { لقضي بينهم } أي لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا { وإنهم لفي شك منه مریب } أي وما كان تكذيبهم له عن بصيرة منهم لما قالوا بل كانوا شاكين فيما قالوه غير محققين لشيء كانوا فيه هكذا وجهه ابن جرير وهو محتمل واـ أعلم